فلم تعد تنطوي على أي خطر، أو تهديد، وبخاصة بعد ان ضمر العمل العسكري الفلسطيني المقاد من الخارج. وهو ضمور تضافرت على تحقيقه عوامل جغرافية وسياسية.

ولقد دلّت تجارب العمليات العسكرية المحدودة المقبلة من الخارج طوال تلك المدة، والتي مثّلت النمط الراهن من الخيار العسكري الفلسطيني، على ان تأثيرها محدود، وان اسرائيل قادرة على استيعابها وتحمّل آثارها، ونقل صورتها الى الرأي العام على انها أعمال «ارهابية»، وتدخل في دائرة الارهاب الذي دانته الامم المتحدة.

وعلى الصعيد الدولي، عطّل التحالف الاستراتيجي الاميركي ـ الاسرائيلي أي مسعى الى السلام والحلّ العادل. وظهرت آثار الانفراج الدولي بين الدولتين العظميين لتمدّ ظلالها الى الأزمات والنزاعات الاقليمية، وفق توازن المصالح المتبادلة.

في هذه البيئة الفلسطينية، والعربية، والدولية، ولدت انتفاضة الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة العام ١٩٦٧. وقد جاءت ردّة فعل على مأساة الموقف العربي، بركوده وتشتّت أطرافه الفاعلة، وعلى غياب أي احتمال لعمل عسكري عربي، من جهة، وأي حل سياسي معقول ومقبول، من جهة أخرى.

وعلى خارطة الظروف السائدة في الوطن العربي، تبدو الانتفاضة وكأنها المبادرة العربية الوحيدة القادرة على التأثير في اسرائيل والبيئة الدولية المحيطة بالقضية الفلسطينية بشكل عام. ويبدو، أيضاً، ان أية مبادرة، أو منشط عربي، في شأن القضية سيكون انعكاساً للمبادرة، او مستنداً اليها، وان أي عامل آخر، سواء أسياسياً كان أو عسكرياً أو اقتصادياً أو دبلوماسياً، لن يكون، في أحسن حال، أكثر من رافد للانتفاضة على مختلف الصعد، ليستطيع، من بعد، توظيفها في خدمة الهدف السياسي.

استراتيجية الفقير

وتتّبع الانتفاضة استراتيجية الفقير في مواجهة استراتيجية الجبروت التي ينفّذها العدو الاسرائيلي. وجوهر الاستراتيجية الأولى الديمومة، واستخدام الزمن لاستنفاد قوات الجبروت، وامتصاص طاقاته، واحلال التعب في قواه. ولا تعني استراتيجية الفقير ان لا تصعّد الانتفاضة مقاومتها الى عتبة أسلحة وطرائق جديدة، هي قادرة على استعمالها في اطار تحمّل نتائج ذلك الاستعمال، مع الاستمرار في الديمومة حتى بلوغ الهدف.

غير ان التصاعد في سلّم عمليات المواجهة، والتصعيد في استعمال الأسلحة والطرائق وتنويعها، لا تجوز ممارستهما، الّا اذا توافرت الشروط والعوامل الكافية لأن يصبحا حداً لا يجوز النزول دونه. وفي غير هذا الحال، تقع المقاومة في شرك الاغراء والغرور، وهو ما تفادته الانتفاضة حتى اليوم، فلم تقع في ما يتمنّى العدوّ ان تقع فيه.

وقد يدعو البعض الى ان تصعد الانتفاضة درجة في المقاومة، تنظيماً وأسلوباً وسلاحاً، حتى تتوفّر لها القدرة على التركيز في مكان ما، أو موقعة ما. وليس مهمّاً ان يتحقق هذا التركيز على حساب أمكنة، أو مواقع، أخرى.

هذه فكرة يسعى اصحابها الى تصليب عود الانتفاضة، حتى تبلغ حدّ القدرة على الحسم في مكان ما، أو موقعة ما. وفي ذلك استقطاب محيّر لقوى العدو، فلا يعرف أين ستكون المعركة، ولا